**محاضرات الادب**

**مدرسة الديوان**

الشعر المرسل

((ويقصد به ما يسمى بالفرنسية (vers blanc) ، وبالانكليزية (Blanc vers) وهو الشعر المطلق غير المقفى على إن المصطلح الذي يحظى بالشيوع في الاستعمال هو (الشعر المرسل) وهو الشعر الموزون غير المقفى))( ). كانت البدايات الاولى لظهوره في الادب الغربي في القرن السادس عشر الميلادي على يد الشاعر (ترسينو) في مأساته (سوفونسيا) التي كتبها عام 1525م( ). وفي الادب العربي الحديث يعد أحمد فارس الشدياق المتوفى عام 1887 ورزق الله حسون المتوفي عام 1880 في طليعة الادباء الذين دعوا الى إحياء حركة الشعر المرسل المتجدد في أدبنا العربي الحديث.( )

أما الزهاوي فيعد من ابرز الرواد العراقيين الذين حملوا لواء الدعوة الى التجديد في شكل القصيدة العربية في مطلع القرن العشرين وهو من طليعة الذين دعوا الى الشعر المرسل في العراق وتعاطوا نظمه وادعا أنه هو الذي إستحدثه في الشعر العربي( ) وذلك عام 1912 إذ قال:- ((وأسهل الشعر ما كان مرسلا ليس عليه من الروي قيدٌ يثقل رجليه))( ) ويرى الدكتور داود سلّوم فيما ذهب اليه الزهاوي من أنه كان متأثراً بما دعا اليه كل من رزق الله حسون وقسطاكي الحمصي واليازجي والبستاني بصدد الدعوة الى التجديد هذه( ) والثورة ضد الشكل التقليدي للقصيدة العربية وبالترجمات العربية والتركية لشكسبير وبالشعراء وكتاب المسرح الاوربي الاخرين وبخاصة ترجمة البستاني المنظومة للالياذة( ).

ونظم الزهاوي بطريقة الشعر المرسل ثلاث قصائد هي:- (الشعر المرسل) و (في الصباح) و (بعد الف عام). فقصيدة الشعر المرسل نظمت ببغداد في الاول من نيسان عام 1905 أولها( ):-

لموت الفتى خيرٌ له من معيشةٍ يكونُ بها عبئاً ثقيلاً على الناس

وأنكدْ منْ صاحب الناس عالمٌ يرى جاهلاً في العز وهو حقيرُ

وقصيدته المرسلة الثانية (في الصباح) نظمها عام 1925 أولها( ):-

قد شجتـني حمامةٌ تـتغـنى فوقَ غصنٍ لدنٍ من الليمونِ

سجعتْ في الصباح إذ يثب النو ر على النهر والربى والبطاحِ

اما القصيدة المرسلة الثالثة (بعد الف عام) فقد نظمها عام 1927 مطلعها( ):-

كأني من قبري انبعث وقد مضى عليّ من الاعوام في جوفهِ الفُ

لقد شغلت هموم القافية اهتمامات الزهاوي ولمدة غير قصيرة من الزمن إذ نجده يتحدث عنها في الكثير من أبحاثه ومقالاته الادبية إذ وضح أراءه في القافية وانتهى الى انها العلة الوحيدة في تأخر الشعر العربي فلم يتوانَ في إعلان الثورة عليها وعلى إزالتها والتحرر منها وتوج هذه الثورة في مقالته الشهيرة التي نشرها في جريدة السياسة البغدادية تحت عنوان (الشعر المرسل)( ) التي كنا قد تحدثنا عنها في مبحث (القافية).

ثم انتهى الى تقديم قصيدته المرسلة (في الصباح):-

قـد شجتـني حمامةٌ تـتغنى فوقَ غصنٍ لدنٍ من الليمونِ

سجعتْ في الصباح إذ يثب النو ر على النهر والربى والبطاحِ

ورأتني أدنو فكفتْ عن السجـ ع كمن خاف طائراً قد يطيرُ

لا تخافي مني مما أنا إلاّ شاعرٌ شجوه كشجوك جمُّ

…………..

إنما نحنُ ياحمامُ سواء فكلانا قد أبعد الدهر الفهُ

وكلانا يرى الحياة شقاءُ وكلانا قد باتَ يرقب حتفه

ياليــــل

انت ياليــل كل ما اتـمنى في حياتي وما تريد الحياة

حلمي أنت في منامي وذكرى كله عند يقضتي من منامي

انني عنك راحلٌ وبـرغمي انني عنك راحلُ فارحميني

كنتُ القى سعادة في دنـوي وسألقى في البعد عنك شقاءُ

…………

عانقـني فأنني لسـتُ ادري هل اذا ما رحلتُ عنك اعودُ

وعسى ان يعود نحوك روحي يوم روحي تفك عنه القيود

مازال يصبو

إنّ قلبي اليك مازال يصبو قد تـلاقت عيوننا قبل عام

اذا رأيت الهيام مني قريباً ورأيـت السلامُ عني بعيداً

أتـظنين انني ان نأى بي عنك يوماً صرف الزمان أعيش

انما كاشحي ودهري وحظي كلـهـم كلهـم عـدوّ لدود

كنتُ تعصي عواذلي ثم اني لم اكن في هواك يوماً عصيا

لا ابالي بالموت يوم أراني عنك ياليل بعد قربي قصيا

أراك ثم أموت

أغضبَ القوم أنني بك صبٌّ مستهام وانني بك أشـدو

مالهم يغضبون مني وحبي هو ما لم أهتف باختياري

إنني شاعرٌ اغني بشعري كلما جاشت الصبابة فيّـا

لستُ اخشى المنون بعد لقاءٍ أتملاه قبل وشك المنـون

…………

ليس لي لبانةً في حياتي غير أني أراك ثم أموتُ

فلنقم ساعةً معاً نتشاكى إنّها فرصةُ لنا ستفوتُ( )

إن الزهاوي حين كتبَ قصيدته المرسلة هذه لم يترك القافية نهائياً بل احتفظ في نهاية كل مقطع بيتين متفـقين في القافية لأنه يريد أن يمهد لترك القافية الموحدة وقد أفصح عن ذلك قائلاً:- ((نظمت قصيدتي ….مهملاً فيها القافية إلاّ في البيتين الاخيرين من كل حلقةٍ منها وما بقائي لها فيهما إلاّ لا ندرج في نزعها من الاذهان بالتمام))( ).

ونرى ان الزهاوي لم يكن صادقاً في السبب الذي ذكره وعلل إبقاءه على القافية الموحدة في البيتين الاخيرين من كل مقطع من مقاطع القصيدة المرسلة واستدل على ذلك أنه كان قد ارسل القافية في قصيدته الأولى (الشعر المرسل) ارسلاً تاماً فهل يعقل أن يعود الزهاوي ليتدرج في نزع القافية من الاذهان في قصيدته المرسلة هذه. ونحن نوافقه الى ما ذهب اليه اذ إنّ أغلب الظن انه حاول ان يهدأ من روع المحافظين على التقاليد الموروثة لشكل القصيدة العربية وربما أراد تجنب غضبهم عليه أو أن يخفف من الهجمات التي قد يشنونها عليه لذلك فهو لم يوفق فيما صنع.ويرى الدكتور عباس توفيق ان ما كتبه الزهاوي من شعر مرسل لا يختلف عن الشعر التقليدي في شيء الا في خلوة من القافية،إذ أثارت دعوته الى الشعر المرسل ضحيةً أدبية وانقسم الادباء إزاءها بين مناصرِ ومفندٍ، ناصرها اصدقاء الزهاوي واشياعه وبعض المجددين وناهضها مناوؤه والحاقدون عليه وبعض الغيورين على النظام القديم( ) .

بينما يرى الاستاذ هلال ناجي ان فكرة الشعر المرسل التي رفع لواءها الزهاوي كانت مرحلة للدعوة الى الشعر الحر الذي تحرر نهائياً من قيد القافية وهشم وحدة البيت العربي واعتمد التفعيلة.( ) ونوافق الاستاذ هلال ناجي رأيه هذا إذ يمكن ان نعد دعوة الزهاوي تمهيداً لحركة الشعر الجديد والتخلص نهائياً من وحدة القافية واعتماد التفعيلة أساساً في بناء السطر الشعري. ويرى الدكتور داود سلّوم ان قصيدة الزهاوي (بعد الف عام) تمثل تجربة يتيمة ليس في شعر الزهاوي فحسب وإنما في الشعر العربي كافة وبقيت دعوته التي لقنها له دعاة التقليد الاوربي دعوة نظرية لم يهضمها الذوق الشعري عند العرب( ).

لكننا نرى من وجه نظرنا المتواضعة ان هذه الدعوة على ضآلة حجم تأثيرها في الشعر العربي الحديث على أقل تقدير قد شدت الاذهان الى ما ينتاب الشعر العربي من رتابة في الاداء وحرصاً منه على التجديد والتحرر من قيود الشعر القديمة ذهب هذا المذهب.